

قِيْبَةُ مُسْلِمِ الْبَاهِلِيِّ (١) وَ (٢)

فَاتِحٌ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ (٣) حَتَّى حُدُودِ الصِّينِ

بِفَتْحِ الدَّوَاءِ الْمُرْكَبِ مَحْمُودِ شَيْخِ الْغَنَابِ

« اللَّهُ دَرَّه ! مَا كَتَبْتَ إِلَيْهِ فِي أَمْرٍ قَطُّ ، إِلَّا فَهِمَ عَنِّي
وَعَرَفَ مَا أُرِيدُ »

(الْحِجَاجُ بْنُ يُوْسُفَ الثَّقَفِيِّ)

نِسْبَةٌ وَأَهْلٌ :

هُوَ قَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْحُصَيْنِ الْبَاهِلِيِّ (٤) ، يُكْتَبُ : أَبُو حَفْصٍ (٥) .

(١) قَيْبَةُ : بَضْمُ الْقَافِ وَفَتْحُ التَّاءِ الْمُنْتَهَا مِنْ نَوْعِهَا وَسُكُونُ الْيَاءِ الْمُنْتَهَا مِنْ تَحْتِهَا وَبِعْدَهَا يَاءٌ مُوَحَّدَةٌ
تَمَّ هَاءٌ سَاكِنَةٌ ، وَهِيَ تَصْغِيرُ : قَيْبَةٌ ، بِكَسْرِ الْقَافِ ، وَهِيَ وَاحِدَةُ الْأَتَابِ ، وَالْأَتَابُ : الْأَمْعَاءُ ، وَبِهَا
سَمِيَ الرَّجُلُ ، وَالنِّسْبَةُ إِلَيْهِ : قَيْبِي ، أَنْظَرَ وَفِيَاتِ الْأَعْيَانِ (٢٤٧/٢) .

(٢) بِأَهْلَةٍ : مِ بَنُو مَالِكِ بْنِ أَعْصَرَ ، نَسَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ : بِأَهْلَةٍ بَدَتْ صَوَّبَ بْنِ سَعْدِ الْعَشِيرَةِ مِنْ مَدِينَةِ
أَنْظَرَ التَّفَاصِيلِ فِي جَهْرَةِ أَنْسَابِ الْعَرَبِ ص (٢٤٥) وَالْمَعْتَدُ الْغَرِيدُ (٢٢٥/٢) .

(٣) مَا وَرَاءَ النَّهْرِ : مَا وَرَاءَ نَهْرِ جِيحُونَ بِخِرَاسَانَ ، فَكَانَ فِي شَرْقِيهِ ، يُقَالُ لَهُ : بِلَادُ الْهِيَاطَةِ
وَفِي الْإِسْلَامِ سَمَوْهَ : مَا وَرَاءَ النَّهْرِ ، وَمَا كَانَ فِي غَرْبِيهِ سَمَوْهَ : خِرَاسَانَ وَوَلَايَةَ خَوَارِزْمَ . أَنْظَرَ التَّفَاصِيلِ
فِي مَعْجَمِ الْبِلْدَانِ (٢٧٠/٧) « الْمَسَالِكُ وَالْمَاهَلِكُ لِلصَّغْهَرِيِّ (١٦١) وَأَثَارُ الْبِلَادِ وَأَخْبَارُ الْعِبَادِ
ص (٥٥٧) وَتَقْوِيمُ الْبِلْدَانِ (٤٨٣ - ٥١٥) وَأَحْسَنُ التَّقَاسِيمِ (٣١٠) .

(٤) وَفِيَاتِ الْأَعْيَانِ (٢٤٩/٣) وَالْمَعَارِفُ (٤٠٦) وَمَعْجَمُ الشُّعْرَاءِ (٣٣١) وَالْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ
(١٦٥/٩) وَجَهْرَةُ أَنْسَابِ الْعَرَبِ (٢٤٦) وَسِرْحُ الْعَيُونِ (٩٧) .

(٥) الْمَعَارِفُ (٤٠٦) وَالْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ (١٦٧/٧) .

وأمه بنت عمرو بن تميم^(١) ، وأبوه مسلم بن عمرو ويكنى : أباصالح كان يعمل حمالاً^(٢) في أيامه الأولى ، وكان عظيم القدر عند يزيد بن معاوية بن أبي سفيان وهو صاحب (الحرون) ، والحرون فرسه^(٣) ، وكان الحرون من الفحول المشاهير يضرب به المثل^(٤) ، وفي مسلم والد قتيبة يقول الشاعر^(٥) :

إذا ما قريش خلا ملكها قالت الخلائفة في باهله
 لب الحرون أبي صالح وما تلك بالسنة العادلة

وقد قتل مسلم مع مصعب بن الزبير^(٦) ، وكانت له من الأولاد : بشار وزياد وعبد الكريم وقتيبة وعبد الله وصالح وعبد الرحمن وحماد وزريق وضرار وعمرو ومعيد والحسين .

فأما بشار ، فكان أكبرهم ، وهو صاحب (نهر بشار)^(٧) ، وكان سيده ولد مسلم حتى سبق عليه قتيبة ، وليبشار عقب .

وأما زياد بن مسلم ، فقد قتل مع قتيبة بـ (خراسان) ، وله عقب ؛ كما أن لمعيد الرحمن ابن مسلم عقباً بالبصرة .

١ - جهرا ، أنساب المرء

٢ - المعارف ٧

(٣) المعارف ١٠٩ (ووفيات الأعيان : ٩٠٠ - ٩٠١)

(٤) وفيات الأعيان : ٩/٤ - ٤٠٠

(٥) المعارف (٤٠٦)

(٦) ابن خلدون (٣٤/٣ - والبداية والنهاية : ١٦٠٩) ، وقد كان ذلك سنة إحدى وسبعين

هجرية . أنظر ابن الأثير (١٢٥/٤) والطبري (٥/٥) والتاريخ أبي اللدائ (١٩٦/٦) واليعقوبي

(١٢/٣)

(٧) نهر بشار : نهر بالبصرة ، ينزح من الابلية ، منسوب الى بشار بن مسلم بن عمرو بن - أهلي .

أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٢٧/٨)

وأما عبد الرحمن بن مسلم ، فقد قتل مع أخيه قتيبة ، وقتل مع عبد بن مسلم أيضاً وله عقب كثير .

أما الحسين بن مسلم فله عقب بالبصرة ، وكان عمرو بن مسلم شجاعاً يلي الولايات لقتيبة وعمدي بن أوطاة ، وعقبه كثير (١) .

وقتيبة من بني (هلال) من (بارمكة) ، وهم بنو مالك بن أعصر ، نسبوا إلى أمهم : باهلة وبها يعرفون (٢) ، وهم من قبيل عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان (٣) وباهلة هي زوج مالك بن أعصر (٤) بن سمك بن قيس عيلان بن مضر بن معد بن عدنان (٥) ، وكانت العرب تستنكف من الاتصاف إلى إمامة حين قال الشاعر :

وما ينفع الأصل من هاشم إذا كانت النفس من باهلة (٦)
وقد سئل حسين بن بكر التميمية عن السبب في الاتصاف (كغني) (٧) و (باهلة) عند العرب ، فقال : « لقد كان فيها غناء وشرف ، ولم يضمها إلا إشراف أخويها : فزارة وذبيان ، عليها بالماثر ، فدنوا بالأضائة إليها » (٨) ، وهذا يدل على أن تردي سمعة باهلة بين العرب كان أمراً نسبياً فقط ، إذ لا بد أن يكون تفاضل بين القبائل المرية ، وليس في تاريخ (باهلة) عمل يتخل بشرفها من بعيد ولا قريب .

(١) أنظر التفاصيل في المعارف (٢٠٣ - ٢٠٤) .

(٢) العقد الفريد (٢٢٥/٢) .

(٣) وفيات الأعيان (٢٥٩/٣) . (٤) وفيات الأعيان (٣٢٤/٢) .

(٥) المصدر نفسه (٢٤٩/٣) . (٦) المصدر نفسه (٢٥٢/٣) .

(٧) غني : غني بن أعصر أخو مالك بن أعصر . أنظر العقد الفريد (٢٢٥/٢) ، وفي جبهة أنساب

العرب ، أنهم بنو عمرو بن أعصر ، منهم بهثة بن غنم بن عمرو بن أعصر . أنظر جبهة أنساب العرب

(٢٤٧) ، ومن غني ، بنو ضبيثة وبنو برثة وبنو عبيد وهم حنفاء بني كلاب . أنظر المعارف ص (٨٠) .

(٨) وفيات الأعيان (٢٥٣/٣) .

مهارة :

١ - في الفتن الداخلية :

أولاً : في البصرة :

خرج الحجاج بن يوسف الثقفي من الكوفة الى البصرة فلما قدمها خطبهم بمثل خطبته بالكوفة ، وتوعد على القعود عن المهلب بن أبي صفرة الأزدي كما توعد بالكوفة ، فلم يبق بالبصرة أحد من عسكر المهلب إلا لحق به ، فقال المهلب : « لقد أتى العراق رجل ذكر » . ثم سار الحجاج حتى كان بينه وبين المهلب ثمانية عشر فرسخاً ، فأقام هناك يشد ظهر المهلب ، وقال : « يا أهل المصرين ^(١) ! هذا والله مكانكم حتى يهلك الله الخوارج » ؛ ثم قطع عنهم الزيادة التي زادها مصعب بن الزبير في الأعطية ، وكانت مائة مائة ، فأتى وجوه البصرة عبد الله بن الجارود ، وقالوا : « إن هذا الرجل مجمع على نقص هذه الزيادة ، وإنا نبإيعك على إخراجه من العراق ونكتب الى عبد الملك بن مروان أن يولي علينا غيره وإلا خلعناه ، وهو يخافنا ما دامت الخوارج في العراق » ؛ فبايعوه سرّاً ، وتعاهدوا وأعطوه الموائيق على الوفاء .

وبلغ الحجاج ما هم فيه ، فأحرز بيت المال واحتاط فيه ، فلما تم لهم أمرهم أظفروه ، وذلك في شهر ربيع الآخر سنة ست وسبعين للهجرة ؛ وأخرج عبد الله بن الجارود قبائل عبد القيس على راياتهم ، وخرج الناس معه ، حتى بقي الحجاج وليس معه إلا خاصته وأهل بيته !

وزحف ابن الجارود بالناس ، حتى دخل فسطاط الحجاج فتهبه الناس ؛ وكان رأيهم أن يخرجوا الحجاج ولا يقتلوه ، فخرّض بعضهم ابن الجارود بقوله : « لا ترجع عنه ! »

(١) أهل المصريين : يقصد أهل الكوفة وأهل البصرة .

وحرّضه على معاجلته ، فقال : « إلى الغد !! » .

وسمى بعض رؤساء البصرة إلى الحجاج في بعض قومههم ، وسمى قتيبة في بني أعصر ، وقال : « والله لا ندع قيسياً يُقتل ولا ينهب ماله » ، يعني : الحجاج ؛ وأقبل إلى الحجاج . وكان الحجاج قد يتس من الحياة ؛ فلما جاءه هؤلاء الملمأن وثابت إليه نفسه وعلم أنه قد امتنع ، إذ أصبح حوله ستة آلاف عندما أصبح .

وتزاحف القوم ، وكان قتيبة على ميمنة الحجاج ، فاقتتلوا ساعة ، فقتل ابن الجارود . ونادى منادي الحجاج بأمان الناس ، وأمر ألا يتبع المهزمون ^(١) .

لقد كان لقتيبة أثر كبير في نجاة الحجاج من خطر محقق ، فأصبح لقتيبة مكانة مرموقة عند الحجاج ، إذ أثبت إخلاصه العميق للحجاج في ساعة محنته . تلك الساعة التي يعرف فيها العدو من الصديق .

ثانياً : في قتال الخوارج

فتك شبيب الخارجي بكثير من المسلمين وعاث في الأرض فساداً ؛ وفي سنة سبع وسبعين الهجرية دخل الكوفة ومعه زوجته غزاة . وكانت غزاة نذرت أن تصلي في جامع الكوفة ركعتين تقرأ فيها سورتي : البقرة وآل عمران ، ففعلت ذلك . وفض شبيب كتاب الحجاج كتيبة بعد كتيبة ، وقتل أمراءه أميراً بمسند أمين ، ووثق الرعب في نفوس الناس . وحزب الحجاج أمر شبيب وشاقق به الأرض ، فأذق الناس قساوا عليه وهو على سريره وعاليه لحاف ، فقال للناس : « إني دعوتكم لأمر فيه أمان ونظر ، فأشيروا علي ! إن هذا الرجل قد تبجح بحبوتكم ^(٢) ودخل حرثكم وقتل

(١) أنظر فاضل قصة وثوب أهل البصرة بالحجاج في ابن الأثير (٤٧٧/٤ - ٤٥٠) وابن

خلدون (٤٢/٣ - ٤٤) .

(٢) التبجح : التمكن من الملل والمقام . والبجوحة : العار . أنظر مختار الصحاح ص (٤١) .

مقاتليكم ، فأشيروا عليّ ! ^(١) » فأدركوا .

وفصل رجل من الصف بكرسيه ، فقال : « إن أذن لي الأمير تكلمت ! » ، فقال :
« تكلم » ، فقال : « إن الأمير رأى ما رأى منكم ، ولما سمع من أمير المؤمنين ، ولا نصح
الرعية ! » ، ثم جلس بكرسيه في الصف ، هذا فأنبأه بن مسلم ، فغضب الحجاج وألقى
الاصناف ودلى قدميه من السرير ، فقال : « من المشكك ! » فخرج قتيبة بكرسيه من
الصف وأعاد الكلام ، فقال الحجاج : « وكيف ذلك ! » ، فقال قتيبة : « لأنك تبعث
الرجل الشريف ، وتبعث معه راعياً فيؤلمون ويستحي أن يهزم ، فيقتل ! » ، فقال :
« وما الرأي ؟ ! » ، قال : « الرأي أن تخرج بنفسك وتخرج معك نظراؤك ، فيواسونك
بأنفسهم » فقال الحجاج : « والله لأبرزنّه غداً » . فلما كان الغد حضر الناس فقال
قتيبة : « اذكر يمينك أصلح الله الأمير » فقال الحجاج : « اخرج فارتد لي معسكراً

وجعل رسول الحجاج يخرج ساعة بمسند ساعة من بعد صلاة الصبح ، فيقول :
أجاء بعد ؟ » وإذا قتيبة عشي في المسجد عليه ثياب حرّوي ^(٢) أصفر وعمامة خز أسمر
متقلداً سيفاً عريضاً قصير الخنائل كأنه في إبطه ، فمسد أدخل بركة قبائله في منطقته
والدرع تصفق مسابقيه ، ففتح له باب الحجاج ولم يُجِجْ ، فدخل ولبت طويلاً ثم
خرج وأخرج معه لواء منشوراً ...

وركب الناس وركب قتيبة فرساً آخرً عجيباً كميناً ^(٣) كأنه في سرجه ومائة من عظم
المرج ، فأخذ في طريق دار السقاية حتى خرج إلى (السَّبْحَةِ) ^(٤) وبها مسكر شبيب ، وذلك

(١) البخاري (٩٦/٥) .

(٢) ثياب حرّوي : الثياب التي يلبسها أهل حرّوي ، وهي من بلاد القباة ، وهو من نسيبة إلى

مدينة هراة .

(٣) الفرس السكيت : الأجر النازح وزنها أسود

(٤) السبحة : واحد السباح ، وهي الأرض الممتدة النازحة . وهناك موضع بالبحر بهذا الاسم . أنظر

الخصائص في معجم البلدان (٢٧/٥) .

يوم الأربعاء ، فتوافقوا ثم شنوا القتال يوم الخميس ، ثم غادروهم يوم الجمعة ، فلما كانت وقت الصلاة انهزمت الخوارج (١) .

لقد كان لشجاعة قتبية في إبداء رأيه الصائب للحجاج وحثه على الخروج بنفسه لقتال شبيب ، وارتياحه لجيش الحجاج . كراً مناسباً للقتال وصفه للحجاج بقوله : « وجدت المأتي سهلاً ، فسر على الطائر الميمون (٢) » ، ولحسن تدبير قتبية ولشجاعته وإقدامه ، كل ذلك كانت أسباباً مساعدة للتغلب على الخوارج الذين قاتلوا بقيادة أبرز قادتهم شبيب الخارجي ، ثم هلاكه من بعد (٣) .

٢ - الفائح :

أ - تولية قتبية

بعد انتصار الحجاج على شبيب الخارجي ، كافأ قتبية بتوليته (الري) ، ثم ولاءه (خراسان) بعد يزيد بن المهلب بن أبي صفرة (٤) وذلك في أيام الوليد بن عبد الملك (٥) . وما كاد قتبية يصل إلى (خراسان) ، حتى وقف في جيشه خطيباً ، فقال : « إن الله أحل لكم هذا الجبل ليمزق فيه ويأخذ بكم من الحرمات ويؤذي لكم المال استفاضة والعدو

(١) الطبري (٦٦/٥ - ٩٧) . (٢) الطبري (٩٨/٥) .

(٣) أنظر تفاهيس مالك شبيب الخارجي في الطبري (١٠٢/٥ - ١٠٥) وابن الأثير (١٠٦/٤ - ١٠٨) .

(٤) وفيات الأعيان (٣٤٠/٣) والعارف ص ٤٠٠) وأنظر اليمتوي (٣٠/٣) وفيه : وقد ولي الحجاج بعد يزيد بن المهلب أخاه المنذر . بقي مدة قليلة وغلبه قتبية .

(٥) معجم الشعراء (٤٣١) ، وذلك سنة ست وثمانين كما جاء في ابن خلدون (٥٩/٣) وفيات الأثير (٢٠٠/٤) والطبري (٢٦٠) ، وفي رواية ، أنه تولاه سنة خمس وثمانين هجرية . أنظر الطبري (٢١٥/٥) .

وقمًا (١) . وعد نبيه ﷺ النصر بحديث صادق وكتاب ناطق ، فقال : (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون) (٢) ، ووعد المجاهدين في سبيله أحسن الثواب وأعظم الذخر عنده ، فقال : (ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يظأون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً إلا كتب لهم به عمل صالح ، إن الله لا يضيع أجر المحسنين) (٣) ، ثم أخبر عن قتل في سبيل الله أنه حي مرزوق ، فقال : (ولا تمسكوا بالدين قتلوا في سبيل الله أموالاً ، بل أحياء عند ربهم يرزقون) (٤) ، فتنجزوا موعود ربكم ، ووطنوا أنفسكم على أقصى أثر وأقصى ألم ، وإياي والهويني (٥) .

ب - إستعادة الطالقان (٦) والصغنيان (٧) وطخارستان (٨)

عرض قتيبة جنده وحتمهم على الجهاد وسار غازياً ، فلما كان بالطالقان أتاه دهاقين

- (١) وقم : وقم الرجل أي أكرهه وقمره . أنظر المعجم الوسيط . ١٠٦٤/٢ (وقمر وأذل . أنظر ترتيب القاموس المحيط) (٥٨٤/٤) .
- (٢) الآية الكريمة من سورة التوبة (٩ : ٤٤) ومن سورة الصف (١٤ : ١٥) .
- (٣) الآية الكريمة من سورة التوبة (٩ : ١٢٠) .
- (٤) الآية الكريمة من سورة آل عمران (٣ : ١٦٩) .
- (٥) الطبري (٢٤١/٥ — ٢١٥) .
- (٦) الطالقان : بلد بخراسان بين سرود الروذ وبلخ . أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٧/٦) وآثار البلاد وأخبار العباد (٤٠٢) .
- (٧) الصغنيان : ولاية عظيمة بما وراء النهر متممة الأعمال بترمد . أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٦١/٥) والمسالك والممالك للأصطخري (١٦٧) وتقويم البلدان ص (٥٠ :) . وتكتب في بعض المصادر : صغانيان .
- (٨) طخارستان : ولاية واسعة كبيرة تشتمل على عدة بلاد ، وهي من نواحي خراسان ، وهي طخارستان العليا شرقي بلخ وغربي نهر جيحون وطخارستان السفلى غربي جيحون أيضاً إلا أنها أبعد من بلخ . أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٣١/٩) والمسالك والممالك للأصطخري (١٥٦) .

(بَلْخ)^(١) وساروا معه ، فقطع نهر (جيحون) فتلقاه ملك (الصغغينيان)
بهدايا ومفاتيح من ذهب ودعاه إلى بلاده وسلمها إليه ، لأن ملك (شومان)^(٢)
و (آخرون)^(٣) كان يسيء جواره . وسار قتيبة منها إلى (آخرون) و (شومان)
وهما من طخارستان ، فصالحه ملكها على فدية أداها إليه ، فقبلها قتيبة ثم أنصرف عائداً
إلى (مرو) واستخلف على الجند أخاه صالح بن مسلم . ففتح صالح بعد رجوع قتيبة
(كاشان)^(٤) و (أورشت)^(٥) ، وفتح (أخشيت)^(٦) وهي مدينة (قرغانة)^(٧)
القديمة^(٨) .

(١) بلخ : مدينة مشهورة بخراسان . أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٦/٢) والمسالك والممالك
(١٥٤) وآثار البلاد وأخبار العباد (٣٢١) .
(٢) شومان : بلد الصغغينيان من وراء نهر جيحون وهو من الثغور الإسلامية ، أنظر التفاصيل في
معجم البلدان (١٣١٠/٥) وتقوم البلدان (٥٠٤) .
(٣) آخرون : لم أجد لها ذكراً في كتب البلدان الميصرية لدي . والظاهر أنها مدينة قريبة
من شومان .

(٤) كاشان : مدينة فيما وراء النهر . أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٠٣/٢) .
(٥) أورشت : هي مدينة من قرغانة . أنظر البلاذري (١٠٩) وابن الأثير (٢٠١/٤) .
(٦) أخشيت : وهي أخسيكت بالفتح ثم السكون وكسر السين المهمله وباء ساكنة وكاف وثاء مثله ،
وبعضهم يقوله بالثاء المشددة . اسم مدينة بما وراء النهر ، وهي قسبة ناحية قرغانة على شاطئ نهر الشاش .
أنظر التفاصيل في معجم البلدان (١٥٠/١) وتقوم البلدان (٥٠٠) .

(٧) قرغانة : مدينة وكورة واسعة بما وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان . أنظر التفاصيل في معجم
البلدان (٢٦٤/٦) وآثار البلاد وأخبار العباد (٦٠٣) والمسالك والممالك للاصطخري (١٦٣)
والبلدان (٣٢٢) وتقوم البلدان (٥٠٢) والمسالك والممالك (٥٠٦ — ٢٠٨) وأحسن التقاسيم
(٣٦٢) .

(٨) ابن الأثير (٢٠٠/٤ — ٢٠١) وابن خلدون (٥٩/٣) والبلاذري (٤٠٩) . وأنظر
الطبري (٢١٥/٥) ومرح البصير (٩٨) ومعجم البلدان (٨٥/٢) . وقيل : إنه غزا آخرون
وشومان ثم رجع إلى مرو . وقيل : إنه أقام السنة ولم يقطع النهر لسبب بلخ ، لأن بعضها كان متقدماً .
أنظر ابن الأثير (٢٠١/٤) والطبري (٢١٥/٥) .

بهذا الفتح الكبير ، استهل قتيبة ولايته خراسان سنة ست وثمانين للهجرة^(١)
(٧٠٤ م) .

ج - استعادة باذغيس^(٢) وبيكنند^(٣) :

أولاً : لما صالح قتيبة ملك (شومان) ، كتب إلى (نيزك طرخان) صاحب (باذغيس) في إطلاق من عنده من أسرى المسلمين وهدده في كتابه ، فخاف (نيزك) وأطلق الأسرى وبعث بهم إلى قتيبة ، فوجه إليه قتيبة سليم الناصح^(٤) يدعوهم إلى الصلح ويؤمنه ، وكتب إليه كتاباً يحلف فيه بالله أن لم يقدم عليه ليغزونه ثم ليطلبه حيث كان لا يقطع عنه حتى يظفر به أو يموت قبل ذلك ، فقدم سليم على (نيزك) بكتاب قتيبة - وكان يستنصحه ، فقال : « يا سليم ! ما أظن عند صاحبك خيراً ... كتب إلي كتاباً لا يكتب إلي مثلي !! » ، فقال له سليم : « إن هذا رجل شديد في سلطانه ، سهل إذا سوهل ، صعب إذا عوسر ، فلا يمنعك منه غلظة كتابه إليك ، فما أحسن حالك عنده وعند جميع مضر » ، فقدم (نيزك) مع سليم على قتيبة ، فصالحه لأهل (باذغيس) على ألا يدخلها قتيبة وكان ذلك سنة سبع وثمانين هجرة^(٥) (٧٠٥ م) .

(١) أنظر شذرات الذهب (٩٦/١) .

(٢) باذغيس : ناحية تشمل على فرى من أعمال هرات ومرور الروذ . أنظر التفاصيل في معجم

البلاد (٣١/٢) .

(٣) بيكنند : بلدة بين بخارى وحيجون على مرحلة من بخارى . أنظر التفاصيل في معجم البلدان

(٢٣٩/٢ - ٩٤٠) وتقويم البلدان (٤٨٨) .

(٤) سليم الناصح : هو مولى عبيد الله بن أبي بكر .

(٥) الطبري (٢١٧/٥ - ٢١٨) وابن الأثير (٢٠٢/٤) .

ثانياً - غزاقتيبة (بيكند) وهي أدنى مداثن (بخارى) ^(١) إلى النهر ، فسار من
(وصر) وأتى (مرو الروذ) ^(٢) ثم آتى (آمل) ^(٣) ، ثم مضى إلى (زم) ^(٤) ، فقطع
النهر وسار إلى بيكند ويقال لها : مدينة التجار ، على رأس المفازة من (بخارى) ، فلما نزل
ساحتهم استنصروا (الصغد) ^(٥) واستمدوا من حولهم ، فأتوهم في جمع كثير ، وأخذوا
بالطريق ، فلم ينفذ لقتيبة رسول ولم يصل إليه رسول ولا خير شهرين . وأبطأ خبر قتيبة
على الحجاج ، فأشفق على الجند وأمر الناس بالدعاء لهم في المساجد ، وكتب بذلك
إلى الأمصار .

وكان قتيبة يقاتل عدوه كل يوم ، وكان له عين من العجم ، فأعطاه أهل (بخارى)
مالاً ليرد عنهم قتيبة ، فأتاه وقال له سرّاً من الناس : « والحجاج قد عزل ، وقد آتى
عامل إلى (خراسان) فلو رجعت بالناس كان أصلح » ، فأمر قتيبة بقتله خوفاً من أن
يظهر الخبر فيهلك الناس ، ثم قال لرجل ^(٦) . كان عنده حين جاءه العين بهذا الخبر : « لم

(١) بخارى : من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلبها ، يعبر إليها من آمل الشط ، وبينها وبين جيحون
يومان . وكانت قاعدة ملك السامانية . أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٨١/٢ - ٨٦) واحسن التقاسيم
(٣١٦ - ٣١٨) وآثار البلاد وأخبار العباد (٥٠٩ - ٥١١) والمسالك والممالك (١٧١ - ١٧٣)
وتقويم البلدان (٤٨٨) .

(٢) مرو الروذ : مرو أشهر مدن خراسان ، وما مروان : مرو الروذ ومرو الشاهان . أنظر
التفاصيل في معجم البلدان (٣٢/٨) و (٣٣/٨) والبلدان لليقوي (٢٧٩) .

(٣) آمل : قصبة طبرستان وهي أكبر من نزون . أنظر التفاصيل في تقويم البلدان (٤٣٤)
والمشرك وضماً (٧) ومعجم البلدان (٦٣/١) .

(٤) زم : بلدة على طريق جيحون بين ترمذ وآمل . أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٤٠٥/٤) .
(٥) الصغد : كورة عجيبة قصبتها نمرقند ، وقيل لها صغدان : صغد سمرقند وصغد بخارى ، أنظر
التفاصيل في معجم البلدان (٣٦٢/٥) والمسالك والممالك للاصطخري (١٧٩) وآثار البلاد وأخبار العباد
(٥١٣) ، وتكتب عند بعضهم : السغد . أنظر مثلاً كتاب البلدان (٢٨٨) . وأنظر أيضاً ما جاء
عن العمدة في أحسن التقاسيم (٣٦٦) . وسكانها يطلق عليهم هذا الاسم أيضاً .

(٦) هو ضرار بن حصين الذي .

يبق أحد يعلم هذا الخبر غيري وغيرك ، وإني أعطي الله عهداً لئن ظهر هذا الحديث من أحد حتى تنقضي حربنا هذه لألقنك به ، فأملك لسانك ، فان انتشار هذا الحديث يفتت من أعضاد الناس .

وأمر قتيبة أصحابه بالجد في القتال ، فقاتلهم قتالاً شديداً ، فانهزم أعداؤه يريدون المدينة . واتبعهم المسلمون فشغلوه عن الدخول ، فتفرقوا وركبهم المسلمون قتلاً وأسراً . واعتصم من دخل المدينة وهم قليل ، فوضع قتيبة النعملة^(١) لهدم سورها ، فسألوه الصلح ، فصالحهم واستعمل عليهم عاملاً وارتحل عنهم يريد الرجوع ، فلما سار خمسة فراسخ نقضوا الصلح وقتلوا العامل ومن معه ، فرجع اليهم وقد تحصنوا ، فقاتلهم شهراً ، ثم وضع الفعلة فنقبوا سورها ، فسألوه الصلح فلم يقبل ودخلها عنوة وقتل من كان فيها من المقاتلة وكان في من أخذوا في المدينة رجل أعور كان هر الذي استجاش الترك على المسلمين ، فقال لقتيبة : « أنا أفندي نفسي ... » ، فقال سليم الناصح : « ما تبذل ؟ » فقال : « خمسة آلاف حريرة صينية قيمتها ألف ألف » ، فقال قتيبة : « ما ترون ؟ » ، فقالوا : « إن فداء زيادة في غنائم المسلمين ، وما عسى أن يبلغ من كيد هذا ؟ ! » ، فقال : « لا والله ! لا تروّع بك مسامة أبدأ » ، وأمر به فقتل .

وأصاب المسلمون في (بيكند) من آنية الذهب والفضة ما لا يحصى ، وأصابوا شيئاً كثيراً لم يصيبوا مثله حتى بخراسان ، فرجع قتيبة إلى (مرو) وقوى المسلمون فاشترى السلاح والخيل ، وجلبت اليهم الدواب ، وتنافسوا في حسن الهيئة والعدة ، وغالوا بالسلاح حتى بلغ الرمح سبعين درهما . وكان في الخزائن سلاح وآلة من آلة الحرب كثيرة ، فكتب قتيبة إلى الحجاج يستأذنه في دفع السلاح إلى الجنود ، فأذن له ، فأخرجوا ما كان في الخزائن من عدة الحرب وآلة السفر ، فقسّمه في الناس .

(١) النملة : جماعة من المقاتلين مسؤولون عن إصلاح المطرق وقطع الشجر وإقامة الجسور والمعابر ، وحفر الآبار وتنقيتها وما أشبه ذلك ، انظر مختصر سياسة الخروب لاهرنمي (٢٩) .

لقد جرى ذلك سنة سبع وثمانين للهجرة^(١) (٧٠٥ م) .

د - استعادة نومشكت^(٢) وراميتنة^(٣)

استقر قتيبة في (مرو) أيام الشتاء للراحة وإكمال الاستحضارات الادارية لجيشه وإعداد رجاله للقتال ، فلما كان أيام الربيع ندب الناس وقال : « إني أغزيكم قبل أن تحتاجوا إلى حمل الزاد ، وأنتقلكم قبل أن تحتاجوا إلى الادفاء » ، فسار من (زم) إلى (بخارى) ، فأتى (نومشكت) وهي من (بخارى) ، فصالحوه^(٤) .

وسار قتيبة إلى (راميتنة) ، فصالحه أهلها أيضاً ، فانصرف عنهم^(٥) . وفي طريق عودته إلى (مرو) زحف اليه الترك ومعهم (الصفد) وأهل (فرغانة) في مائتي ألف بقيادة ملك الترك (كور بغانون) ابن أخت ملك الصين ، فهددوا الساقة التي كانت بقيادة عبد الرحمن بن مسلم الباهلي ، وكان بينه وبين قتيبة وأوائل العسكر ميل واحد ، فلما قربوا من الساقة أرسل قائدها رسولا إلى قتيبة يخبره بزحف الترك ، ولكن الترك هاجموا في أثناء ذلك وقتلوه . وأتى الرسول قتيبة ، فرجع قتيبة بالناس وانتهى إلى الساقة وهي مشتبكة بالقتال وقد كاد الترك يسحقونها ، فلما رأى الناس قتيبة طابت أنفسهم فصبروا وقاتلوا إلى الظهر ، وأبلى يومئذ (نيزك) وهو مع قتيبة ، فانهزم الترك .

(١) الطبري (٢١٨/٥ — ٢٢٠) ، وأنظر ابن الأثير (٢٠٢/٤) وابن خلدون (٥٩/٣) والبلاذري (٤٠٩ — ٤١٠) وسرح العيون (٩٨ — ٩٩) ، وأنظر شذرات الذهب (١٩٧/١) والمير (١٠٢/١) .

(٢) نومشكت : مدينة من أعمال بخارى . أنظر الطبري (٢٢٠/٥) وابن الأثير (٢٠٤/٤)

(٣) راميتنة : مدينة من أعمال بخارى .

(٤) الطبري (٢٢٠/٥) ، وأنظر ابن الأثير (٢٠٤/٤) وابن خلدون (٥٩/٣) والبلاذري

(٤١٠) .

(٥) ابن الأثير (٢٠٤/٢) .

ورجع قتيبة فقطع النهر عند (ترمذ)^(١) وأتى (مرو) ، وكانت ذلك سنة
ثمان وثمانين للهجرة^(٢) .

هـ - فتح بخارى والصلح مع الصفد :

أولاً : أمر الحجاج سنة تسع وثمانين هجرية (٧٠٧ م) بغزو (بخارى) وملكها
يومئذ (وردان خذاه) ، فعبر النهر من (زم) ولقيهم (الصفد) وأهل (كش)^(٣)
و (نسف)^(٤) في طريق المفازة وقتلوه ، فانتصر عليهم ومضى الى (بخارى) ، فنزل
(خرقةانة)^(٥) السفلى ، فلقوه بجمع كثير ، فقاتلهم يومين وليلتين وانتصر عليهم .

وغزا (وردان خذاه)^(٦) فلم يظهر بشيء ، فخرج الى (مرو) .

وكتب قتيبة إلى الحجاج بخبره ، فكتب إليه الحجاج : « صورها لي » ، يعني :
منطقة (بخارى) فبعث إليه قتيبة وصفاً دقيقاً لها ، فبعث إليه الحجاج يأمره بالتوبة

(١) ترمذ : مدينة مشهورة من أمهات المدن على جيحون . أنظر التفاصيل في معجم البلدان

(٢) (٣٨٢/٢) وتقويم البلدان (٥٠٠) وأحسن التقاسيم (٢٩١) .

(٣) الطبري (٢٢٣/٥) وابن الأثير (٢٠٤/٤) وأنظر البلاذري (٤١٠) . وفي ابن خلدون ،

(٥٩/٣) : « أن الترك اعترضوا مقدمة قتيبة » ، وهذا خطأ من الناحية العسكرية ، لأن قتيبة كان في

طريق عودته الى (مرو) ، فتكون الساقة لا المقدمة في متناول أيدي الترك يضربونها حتى يجبروا قتيبة

على العودة بقواته الى الخلف ، أما ضرب المقدمة فمعناه الاصطدام بجيش قتيبة كله بدون الحاجة الى الرجوع

الى الخلف وتبديل خطة مسيره ووضع خطة جديدة للقتال .

(٤) كش : مدينة في ما وراء النهر . أنظر التفاصيل في تقويم البلدان (٤٩٠) وهي قرب سمرقند .

انظر معجم البلدان (٢٥٠/٧) .

(٥) نسف : مدينة كبيرة بين جيحون وسمرقند . أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٨٦/٨) .

(٦) خرقةانة : في معجم البلدان وردت : خرقان ، قرية من قرى سمرقند ، وخرقةانة : موضع .

انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤٢١/٣) .

(٧) وردان خذاه : ملك بخارى . وهناك : وردانة : من قرى بخارى . أنظر معجم البلدان

(٤١٤/٨) .

مما كان من الصرافه عن (وردان خذاه) ملك (بخارى) قبل الظفر به ، ويعرفه الموضع الذي ينبغي أن يأتي بلده منه (١) .

ثانياً - وخرج قتيبة من (مرو) سنة تسعين للهجرة (٧٠٨ م) غازياً ، فارسل (وردان خذاه) إلى (الصغد) والترك ومن حولهم يستنصرهم ، فأتوه وقصد سبق إليه قتيبة وحصره .

ووردت الأمدادات إلى ملك (بخارى) ، فخرجوا إلى المسلمين ليقاتلوهم ، فقالت الأزد : « اجعلونا على حدة ، وخذوا بيننا وبين قتلهم » ، فقال قتيبة : « تقدموا ! » فتقدموا يقاتلونهم قتالاً شديداً ، ولكنهم انهزموا حتى دخلوا عسكر قتيبة وجاوزوه ، فضرب النساء وجوه الخيل وبكين ، فكروا راجعين .

وأطبقت مجنبتا جيش المسلمين على الترك ، فقاتلوهم حتى ردوهم إلى مواقعهم السابقة ، فوقف الترك على نشز ، فقال قتيبة : « من يزيلهم عن هذا الموضع ؟ » ، فلم يقدم عليهم أحد ، فأتى قتيبة بني تميم وقال لهم : « يوماً كأيامكم ... » ، فأخذ وكيع بن حسان بن قيس التميمي (٢) اللواء وقال : « يا بني تميم ! أتسلمونني اليوم ؟ » فقالوا : « لا يا أبا مطرف » ، وكان هريم بن أبي كلحمة المجاشعي على خيل بني تميم ووكيع رأسهم ، فقال وكيع : « يا هريم ! قدم خيلك ... » ، ودفع إليه الراية ، فتقدم هريم ، وتقدم وكيع في الرجال ، فأنتهى هريم إلى نهر بينهم وبين الترك ، فوقف ، فقال له وكيع : « إقحم ياهريم ! » ، فضرب هريم فرسه وأقحمه ، وعبر بالخيول .

وانتهى وكيع إلى النهر ، فشدد عليه جسراً من خشب وقال لأصحابه : « من ووطن

(١) ابن الأثير (٤/٦٠٤) وابن خلدون (٣/٥٩ - ٦٠) والطبري (٥/٢٢٥) .

(٢) هو الفاتك وكيع بن حسان بن قيس بن أبي سود بن كلب التميمي والي خراسان وقاتل قتيبة

ابن مسلم الباهلي ، أنظر جمهرة أنساب العرب (٢٢٦) .

نفسه على الموت ، فليعبر ؛ وإلا فليثبت مكانه » ، فما عبر معه إلا ثمانمائة رجل .
ودنا وكيع من العدو ، فقال لهريم : « إني مملأ عنهم فأشغلهم عنا بالليل » ، فطاعنوهم
ولم يزالوا يقاتلونهم حتى أراحوهم عن مواضعهم .

ونادى قتيبة : « أما ترون العدو منهزمين !؟ » ، فأتبهم الناس . ونادى قتيبة : « من
جاء برأس فله مائة » ، فأتى برؤوس كثيرة ، وجرح يومئذ (خاقان) ملك الترك وابنه ؛
وفتح الله على المسلمين ، فسكتب بالفتح إلى الطيجاج ^(١) .

و : غدر (نيزك) وفتح الطالْقَان ^(٢)

أولا : فصل قتيبة من (بخاري) ومعه (نيزك) وقد خاف لما يرى من الفتوح ، فقال
لأصحابه : « أنا مع هذا ولست آمنه ، فلو استأذنته ورجعت كان الرأي ! » ، فقالوا :
« استأذنه » ، فلما كان قتيبة بـ (آمل) ، استأذنه (نيزك) بالرجوع إلى (طخارستان) ،
فأذن له .

وأسرع (نيزك) السير حتى أتى (النوبهار) ^(٣) ، فنزل يصلي فيه ويتبرك به ، وقال

(١) ابن الأثير (٢٠٧/٤) والطبري (٢٢٧/٥ — ٢٢٨) . وابن خلدون (٦١/٣) . وفي
البلاذري (٤١٠) : إن قتيبة فتح بخاري على صلح . وفي رواية أخرى : إن قتيبة أتى بخساري
فاحتسوا منه ، فقال : « دعوني أدخلها فأصلي ركعتين » ، فأذوا له في ذلك ، فأمكن لهم قوماً ، فلما
دخلوا كاثروا أهل الباب ودخلوا فأصاب فيهم ، إلا قليلاً وشدوا بأهاليهم . انتهى ما جاء في البلاذري
(٤١٠) . وأرى أن هذه الرواية غير منطقية وغير معقولة ، إذ كيف يجازف قتيبة بدخول المدينة
للصلاة فيها وهو في ساحة حرب بين أعدائه ؟؟ وكيف يسمح له أهل بخاري أن يدخل مدينتهم ولا يتصون
عنه ؟؟ كما أن الحياة والغدر أيضاً من خلق اللطف الصالح من قدة الفتح الذين كانوا متمسكين بتماليم
الإسلام .

(٢) الطالْقَان : أكبر مدينة بطخارستان بين مرو الروذ وبلخ . أنظر التفاصيل في معجم البلدان

(٧/٦) وتقويم البلدان (١٥٨) وآثار البلاد وأخبار العباد (٤٠٢) .

(٣) النوبهار : اسم موضعين : أحدهما قرب الري ، والثاني — وهو المراد ببلخ . أنظر التفاصيل

في معجم البلدان (٣٢٠/٨ — ٣٢٢) ، وفي المشترك وضعاً كذلك ، وإن النوبهار معبوس كان ببلخ

للعجوس وكانت البرامكة سدنته . أنظر المشترك وضعاً (٤٢٢) .

لأصحابه : « ولا أشك أن قتيبة قد ندم على إذنه لي ، وسيبعث إلى المغيرة بن عبد الله بأمره بجبسي » . وسار (نيزك) وتبعه المغيرة ، فوجدوه قد دخل شعب (خلم)^(١) ، فانصرف المغيرة وأظهر (نيزك) الخلع وكتب إلى (أصبهذ) بليخ وإلى (باذاف) ملك (مروالوذ) وإلى ملك (الطالقان) وإلى ملك (الفرياب)^(٢) وإلى ملك (الجوزجان)^(٣) يدعوهم إلى خلع قتيبة . ثم كتب إلى ملك (كابل)^(٤) يستظهر به وبعث إليه بثقله وماله ، وسأله أن يأذن له — إن اضطر إليه — أن يأتيه ، فأجابه إلى ذلك .

وبلغ قتيبة خلعهم قبل الشتاء وقد تفرق الجند ، فبعث أخاه عبد الرحمن بن مسلم الباهلي في اثني عشر ألفاً إلى (البروقان)^(٥) وقال له : « أقم بها ، فإذا انقضى الشتاء سر نحو (طخارستان) ، واعلم أني قريب منك » .

وفي آخر الشتاء ، كتب قتيبة إلى (نيسابور)^(٦) وغيرها من البلاد ليقدم عليه الجنود ، فقدموا قبل أوانهم ، فسار نحو (الطالقان) وكان ملكها قد خلع وطابق (نيزك) على الخلع ، فأوقع قتيبة بأهل (الطالقان) وقتل من أهلها مقتلة عظيمة .

(١) خلم : بلدة بتواحي بلخ على عشرة فراسخ من بلخ . أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٤٥٩/٣) .

(٢) الفرياب : بلدة من نواحي بلخ وهي محففة من : فرياب . أنظر التفاصيل في معجم البلدان

(٣٧٢/١) .

(٣) الجوزجان : كورة واسعة من كور بلخ بخراسان . أنظر التفاصيل في معجم البلدان (١٦٧/٣)

والمسالك والممالك للاصطخري (١٥٣) .

(٤) كابل : اسم يشتمل على الناحية ومدينتها . أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٠١/٧) وآثار

البلاد وأخبار العباد (٢٤٣) وهي ناحية الأفغان في الوقت الحاضر .

(٥) البروقان : قرية من نواحي بلخ . أنظر التفاصيل في معجم البلدان (١٥٧/٢) .

(٦) نيسابور : مدينة عظيمة في خراسان . أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٥٦/٨) والمسالك

والممالك للاصطخري (١٤٥) وآثار البلاد وأخبار العباد (٤٧٣) .

وهكذا انقضت سنة تسعين هجرية (٧٠٨ م) قبل محاربة (نيزك)^(١) .
ثانياً - وفي سنة إحدى وتسعين الهجرية (٢٧٠٩) ، سار قتيبة الى (الفارياب) فخرج
ملكها مُقرأ مُذعناً ، فقبل قتيبة منه ولم يقتل بها أحداً .

ثم أتى (بلخ) فلقية أهلها ، فلم يبق بها إلا يوماً واحداً ، وسار يتبع أخاه إلى شعب
(خلم) . ومضى (نيزك) الى (بغلان)^(٢) وخلف بعض المقاتلين على فم الشعب ومضايقه
لينعود ، ووضع مقاتلته في قلعة حصينة من وراء الشعب ، فأقام قتيبة أياماً يقاتلهم على
مضيق الشعب لا يقدر على دخوله ولا يعرف طريقاً يسلكها إلا الشعب أو مفازة لا تحملها
العساكر ، فبقى متحيراً .

وبينا كان قتيبة يفكر في أمر القضاء على (نيزك) ، إذ قدم عليه رجل استأمنه على أن
يدله على مدخل القلعة التي من وراء الشعب ، فأمنه قتيبة وبعث معه رجالاً انتهى بهم إلى
القلعة من وراء شعب (خلم) ، فباغتوا رجال (نيزك) وهم آمنون ، فقتلوا بعضهم وهرب
من بقي منهم ومن كان في الشعب ، فدخل قتيبة الشعب وأتى القلعة . ومضى الى
(سمنجان)^(٣) ، فأقام بها أياماً ، ثم مضى قدماً إلى (نيزك) .

وقدم قتيبة أخاه عبد الرحمن بن مسلم الباهلي ، فأرتحل (نيزك) من منزله في (بغلان)
وقطع وادي (فرغانة) ، ووجه ثقله وأمواله إلى ملك (كابل) ، ومضى حتى نزل
(الكرز)^(٤) وعبد الرحمن يتبعه ، فنزل عبد الرحمن حذاء (الكرز) ونزل قتيبة بمنزل

(١) ابن الأثير (٢٠٧/٤ - ٢٠٨) والطبري (٢٢٩/٥ - ٢٣٠) وأنظر ابن خلدون
(٦١/٣) . وفي رواية : إن ملك الطالقان لم يحارب قتيبة فكف عنه ، وكان بها لصوص يقتلهم قتيبة
وصلبهم . أنظر ابن الأثير (٢٠٩/٤) والطبري (٢٢٥/٥) .

(٢) بغلان : بلدة بنواحي بلخ . أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٤٦/٢) .

(٣) سمنجان : بلدة من طبخارستان وراء بلخ وبغلان وبها شعاب كثيرة . أنظر التفاصيل في معجم

البلدان (١٤٠/٥) .

(٤) كرز : وهي كرزبان كما جاء في معجم البلدان (٢٣٧/٧) ، بلدة في الجبل قرب الطالقان .

بينه وبين عبد الرحمن فرسخان .

وتحصن (نيزك) في (الكرز) وليس إليه مسلك إلا من وجه واحد — وهو صعب لا تطيقه الدواب ، فحصره قتيبة شهرين ، حتى قلّ ما في يد (نيزك) من الطعام وأصابهم الجُدري .

وخاف قتيبة الشتاء ، فدعا سليماً الناصح وقال : « انطلق إلى (نيزك) ، واحتل لتأبيني به بغير أمان ، فإن احتال وأبى ، فأمنه . واعلم أني إن عاينتك وليس هو معك ، صلبتك ! » ، فاحتال سليم حتى قدم (نيزك) على قتيبة .

واستأذن قتيبة الحجاج في قتل (نيزك) ، فأتاه كتاب الحجاج بعد أربعين يوماً يأمره بقتله ، فدعا فيه الناس واستشارهم في قتله ، فأشار أكثرهم بقتله ، فقتله ورجع إلى (مرو) .

وأرسل ملك (الجوزجان) يطلب الأمان ، فأمنه قتيبة على أن يأتيه وطلب رهناً على أن يعطى هو رهائن من أهل بيته ، فقبل منه قتيبة ، فقدم عليه ثم رجع فمات في طريق عودته (١) .

وهكذا انتهت فتنة (نيزك) ومن شايه من الملوك سنة إحدى وتسعين هجرية .
ز - فتح شومان وكش ونسف ثانية وصلاح سجستان (٢) :

أولاً . في سنة إحدى وتسعين أيضاً (٧٠٩ م) ، سار قتيبة إلى (شومان) ، وكان

(١) ابن الأثير (٢٠٩/٥ — ٢١٠) والطبري (٢٣٠/٥ — ٢٤١) . وانظر ابن خلدون (١١/٣ — ١٢) . والبلاذري (٤١٠) واليعقوبي (٣٠/٣) وشذرات الذهب (٩٩/١) والبديع والتاريخ (٣٨/٦) والعبر (١٠٦/١) .

(٢) سجستان : ناحية كبيرة وولاية واسعة أكبر مدنها زرنج أنظر التناخيل في معجم البلدان (٣٧/٥) والمسالك والممالك (١٤٩ — ١٥٣) .

سبب ذلك أن ملكها طرد عامل قتيبة من عنده ، فأرسل قتيبة رسولين : أحدهما من العرب اسمه عياش بن عبد الله الغنوي والآخر من أهل (خراسان) ، يدعو أن ملك (شومان) أن يؤدي ما كان صالح عليه ، فقلما (شومان) . فخرج أهلها ورموها ، فانصرف الخراساني ، وقتلهم عياش فقتلوه ووجدوا به ستين جراحة .

وبلغ قتيبة قتله ، فسار إليهم بنفسه ، فلما أتاد أرسل صالح بن مسلم أخاه إلى ملكها وكان صديقاً له ، يأمره بالطاعة ويضمن له رضا قتيبة إن رجع إلى السلج ، فأبى وقال : « أتخوفني من قتيبة وأنا أضع الملوك حصناً ؟ » ، فأناه قتيبة وقد تحصن ببلده ، فوضع عليه المجانيق ورمى الحصن فهشمه .

وخاف الملك أن يظهر عليه قتيبة ، فجمع ما في الحصن من مال وجواهر ورمى به في بئر بالقلعة لا يُدرك قعرها ، ثم فتح القلعة وخرج إلى المسامين فقاتلهم حتى قتل . وفتح قتيبة القلعة عنوة ، فقتل المقاتلة وسبي الذرية ، ثم سار إلى (كش) و (نسف) ففتحها صلحاً .

وامتنعت عليه (الفارياب) فأحرقها ، فسُميت : المحترقة . وسير من (كش) و (نسف) أخاه عبد الرحمن إلى (الصغد) وملكها (طرخون) ، فقبض عبد الرحمن من (طرخون) ما كان صالحه عليه قتيبة ، ورجع إلى قتيبة بـ (بخارى) ، فرجعوا إلى (مرو) (١) .

ثانياً - وفي سنة اثنتين وتسعين الهجرية (٧١٠ م) غزا قتيبة (سجستان) وأراد قصد (رتبيل) ، فأرسل إليه (رتبيل) رسلاً بالصلح ، فقبل ذلك قتيبة وانصرف بعد أن

(٢) ابن الأثير (٢١٠/٤ - ٢١١) والطبري (٢١٤/٥ - ٢١٣) . وانظر ابن خلدون

(٦٤/٣) والبلاذري (٤١٠) .

استعمل عليهم أحد رجاله (١) .

ح - صالح ملك (خوارزم) (١) وفتح أرض (خام جرد) (٢) :

في سنة ثلاث وتسعين للهجرة (٧١١ م) ، صالح قتيبة ملك (خوارزم) ، وكان سبب ذلك أن الملك كان ضعيفاً ، فغلبه أخوه (خرزاد) الذي كان أصغر منه على أمره ، وعات في الرعية وسلبهم أموالهم وأهلهم ، فكتب ملك (خوارزم) إلى قتيبة يدعوه إلى أرضه ليسلمها إليه على أن يتمكن من أخيه وأصحابه ليحكم فيهم بما يرى !

ولم يطلع ملك (خوارزم) أحداً من مرزبته على ذلك ، فاجابه قتيبة إلى ما طلب وتجهز للغزو . وأظهر أنه يريد (الضخد) ، فأقبل أهل (خوارزم) على شأنهم ولم يحتفلوا بغزوه .

ونجاة نزل قتيبة بجيشه قريباً من (خوارزم) ، فجاء أصحاب ملك (خوارزم) إلى ملكهم ودعوه للقتال ، فقال : « ليس لنا به طاقة ، ولكن نصالحه على شيء نعطيه كما فعل غيرنا » ، فوافقوه . وسار ملك (خوارزم) حتى نزل بمدينة (الفيل) (٣) من وراء النهر - وهي أحسن بلاد ، فصالح قتيبة على عشرة آلاف رأس وعين ومتاع وعلى أن يعينه على (خام جرد) ، فقبل قتيبة ذلك ، وقيل : صالحه على مائة ألف رأس (٤) .

(١) ابن الأثير (٢١٧/٤) وابن خلدون (٦٢/٣) والطبري (٢٤٦/٥) . وانظر مسرح

المعون (٩٩) . والرجل الذي استعمله عليهم هو : عبد ربه بن عبد الله الليثي .

(٢) خوارزم : اسم إقليم منقطع عن خراسان وبعها وراء النهر وتحيط به الفارز من كل جانب ، وحدها متصل بحد الجزيرة فيما إلى الشمال والمغرب ، وجنوبه وشرقيه خراسان وما وراء النهر ، وهي في آخر نهر جيحون . انظر التفاصيل في المسالك والممالك للأصطخري (٦٨) ومعجم البلدان (٤٧٤/٣ - ٤٧٩) .

(٣) خام جرد : اسم أحد رؤساء منطقة خوارزم .

(٤) الفيل : كانت مدينة ولاية خوارزم . انظر معجم البلدان (٤١٠/٦) .

(٥) قوله : على مائة ألف رأس ، يريد أن هؤلاء يأخذ منهم الجزية ، وإلا فن البعيد استرقق هذا العدد الضخم ، إذ إذا صنع بهم قتيبة وأي طعام يكفهم ، انظر هامش ابن خلدون (٦٣/٣) وصالحه على عشرة آلاف أو مائة ألف رأس ، أي أن هذا العدد من الناس يعطون الجزية .

وبعث قتيبة أخاه عبد الرحمن إلى (خام جرد) وكان يغازي ملك (خوارزم) فقاتله وقتله وغلب على أرضه .

وسلم قتيبة إلى ملك (خوارزم) أخاه ومن كان يخالفه من أمرائه ، فقتلهم ودفع أموالهم إلى قتيبة ^(١) .

ط - فتح سمرقند :

قبض قتيبة صلح (خوارزم) ، فقام إليه المجسر بن مزاحم السلمي وقال له سرأ : « إن أردت (الصغد) يوماً من الدهر ، فالآن ، فأنهم آمنون من أن تأتيهم من عامك هذا ، وإنما بينك وبينهم عشرة أيام » ، فقال قتيبة : « أشار بهنا عليك أحد ؟ » ، قال : « لا ! » قال : « فأعلمته أحداً ؟ » ، قال : « لا ! » ، فقال قتيبة : « والله لئن تكلم به أحد لأضرب عنقك ! » .

وأقام قتيبة يومه ذلك ، فلما أصبح من الغد ، دعا أخاه عبد الرحمن وقال : « سر في الفرسان والرماة ، وقدم الأثقال إلى (مرو) » فوجه الأثقال إلى (مرو) ومضى عبد الرحمن يتبع الأثقال يريد (مرو) يومه كله ، فلما أمسى كتب إليه قتيبة : « إذا أصبحت فوجه الأثقال إلى (مرو) وسر بالفرسان والرماة نحو (الصغد) ، واكتم الأخبار ، فأني بالأثر ! » .

وخطب قتيبة الناس ، فقال : « إن الله قد فتح لكم هذه البلدة في وقت الغزو فيه ممكن ، وهذه (الصغد) شاغرة برجلها قد نقضوا العهد الذي كان بيننا ومنعونا ما كنا صالحنا عليه (طرخون) وصنعوا به ما بلغكم ^(٢) ، وقال الله : « من نكث فأنما ينكث

(١) ابن نفلدون (٦٣/٣) وابن الأثير (٢١٧/٤) والطبري (٢٤٦/٥ — ٢٤٨) .

(٢) لما رجع قتيبة عن (الصغد) سنة إحدى وتسعين هجرية بعد صلحه مع (طرخون) ملكها ، قال أهل (الصغد) لطرخون : « لك قد رضيت بالذل واستطرت الجزية ، وأنت شيخ كبير ، فلا حاجة لك بك » ، فحسبوه دولوا (غوزك) ، فقتل (طرخون) نفسه . أنظر ابن الأثير (٢١١/٤) والطبري (٢٤٢/٥) .

على نفسه (١) ، فسيروا على بركة الله ، فإني أرجو أن يكون (خوارزم) و (الصغد) كالنضير وقریظة (٢) ، وقال الله : (وأخري لم تقدرُوا عليها قد أحاط الله بها) (٣) .

وبلغ قتيبة (الصغد) بعد عبد الرحمن بثلاث أو أربع ، فقال : (فإذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين) (٤) ، وقدم معه أهل (خوارزم) و (بخارى) ، فحصرهم شهراً وقاتلهم في حصارهم مراراً من وجه واحد .

وكتب أهل (الصغد) إلى ملك (الشاش) (٥) وملك (فرغانة) : « إن العرب إن ظفروا بنا عادوا عليكم بمثل ما أتونا به ، فانظروا لأنفسكم ، ومهما كان عندكم من قوة فابذلوها » .

واستقر رأي ملكي (الشاش) و (فرغانة) على إمداد أهل (صغد) ، فأرسلوا إليهم : « أرسلوا من يشغلهم حتى تبيست عسكرهم » ، وانتخبوا من أولاد الملوك وأهل النجدة من أبناء المرازبة والأساورة والأبطال ، وأمروهم أن يأتوا عسكر قتيبة ويبيتوه لأنه مشغول عنهم بحصار (سمرقند) .

وبلغ قتيبة الخبر ، فانتخب من عسكره أربعمائة ، وقيل : ستمائة من أهل النجدة والشجاعة وأعلمهم الخبر ، وأمروهم بالمسير إلى عدوهم ، فساروا وعليهم أخوه صالح بن مسلم ، ونزلوا على فرسخين من العسكر على طريق القوم .

وأرسل صالح عيوناً ، فأخبروه أن العدو سيصل إليه ليلاً ، ففرق خيله ثلاث فرق : جعل كمينين في موضعين ، وأقام هو وبعض فرسانه على قارعة الطريق .

(١) الآية الكريمة من سورة الفتح (٤٨ : ١٠) .

(٢) النضير وقریظة من يهود المدينة المنورة الذين قاتلوا النبي صلى الله عليه وسلم ، فقتلهم عليهم .

(٣) الآية الكريمة من سورة الفتح (٤٨ : ٦١) .

(٤) الآية الكريمة من سورة الصافات (٣٧ : ١٧٧) .

(٥) الشاش : مدينة بما وراء النهر متاخمة لبلاد الترك . أنظر معجم البلدان (٢١٦ / ٠) .

وطرقهم العدو ليلاً وهم لا يعلمون بمكان صالح ، وهم آمنون في أنفسهم من أن يلتقاهم
أحد دون المسكر ، فلم يعلموا بصالح حتى غشوه ، فشدوا على قوته حتى إذا اختلفت
الرياح بينهم خرج الكمينان فاقتتلوا ، قال بعضهم : « إنا لنقاتلهم إذ رأيت تحت الليل
قتيبة وقد جاء سراً ، فضربت ضربة اعجبتي ، فقلت : كيف ترى بأبي وأبي ؟! فقال :
اسكت ! فض الله فاك » .

واستطاع فرسان صالح أن يتغلبوا على عدوهم ، فلم يفلت منهم إلا الشريد ، وأسروا
بعض الأسرى ، وغنموا خيلهم وسلاحهم .

وعلم (الصغد) بانسحاب القوة التي جاءت ممدداً لهم ، فأثر ذلك على معنوياتهم
أسوأ الأثر .

ونصب قتيبة حول (سمرقند) المجانيق فرماها بها ونلم ثلثة فسدوها بغرائر الدُخْن ،
وقام عليها رجل فشم قتيبة - وكان مع قتيبة قوم رماة ، فأمر قتيبة رجلاً منهم رمى
شامه ، فلم يخطيء عينه .

وسمع بعض المسلمين قتيبة وهو يناجي نفسه بقوله : « حتى متى يا (سمرقند) يعشعش
فيك الشيطان ؟! أما والله لن أصبح لأحاولن من أهالك أقصى غاية »

وأصبح قتيبة ، فعرض جنده ، وميز أهل البأس ، فجمعهم يعرضهم بنفسه . ودعا
العرفاء ، فجعل يدعو برجل رجل ، فيقول : « ما عندك ؟! » ، فيقول العريف :
« شجاع » ، ويقول : « ما هذا ؟ » ، فيقول : « مختصر ! » ، ويقول : « ما هذا ؟ »
فيقول : « جبان ! » ، فأخذ قتيبة خيل الجبناء وجيد سلاحهم وأعطاه الشجعان
والمختصرين ، وترك للجبناء رث السلاح .

وأمر الناس بالجد في القتال ، فقاتلهم أشد القتال . وأمرهم قتيبة أن يبلغوا ثلثة

المدينة قائلاً : « أُلحوا عليهم حتى تعبروا على الثامنة ! » ، فقاتلهم حتى صاروا على ثلثة المدينة .

ورماهم (الصغد) بالنشاب ، فوضعوا أترستهم على وجوههم ولم يبرحوا ، فأرسل (الصغد) إلى قتيبة من يقول له : « إنصرف عنا اليوم حتى نصلحك غداً » ، فقال قتيبة : « لا نصلحهم إلا ورجالنا على الثامنة ، وقيل بل قال قتيبة : « جزع العبيد ! إنصرفوا على ظفركم ... »

وصالحهم قتيبة من الغد على ألفي ألف ومائتي ألف مثقال في كل عام وأن يعطوه تلك السنة ثلاثين ألف فارس ، وأن يخلوا المدينة لقتيبة فلا يكون لهم فيها مقاتل ، فيبني فيها مسجداً ، ويدخل ويصلي ويخطب ويتغدى ويخرج .

وتم الصلح وأخلوا المدينة وبنوا المسجد ، فدخلها قتيبة في أربعة آلاف انتخبهم فصلى في المسجد وخطب وأكل طعاماً ، ثم أرسل إلى (الصغد) : « من أراد منكم أن يأخذ متاعه فليأخذه ، فاني لست خارجاً منها ، ولست آخذ منكم إلا ما صالحتكم عليه ، غير أن الجند يقيمون فيها » .

وقيل : إنه شرط عليهم في الصلح مائة ألف فارس وبيوت النيران وحلية الأصنام ، فقبض ذلك ، فكانت كالقصر العظيم ، فأخذ ما عليها وأمر باحراقها ، فجاءه (غوزك) ملك (الصغد) فقال : « إن شكرت علي واجب ! لا تتعرض لهذه الأصنام فان فيها أصناماً من أحرقها هلك !! » ، فقال قتيبة : « أنا أحرقها بيدي » ، فدسا بالنار ثم كبر وأشعلها فاحترقت ، فوجدوا من بقايا مسامير الذهب خمسين ألف مثقال !!

وصنع (غوزك) طعاماً ودعا قتيبة ، فأتاه في عدد من أصحابه ، فلما تغدى قال للملك : « انتقل عنها » ، يعني عن (سمرقند) ، فانتقل (غوزك) عنها ، وتلا قتيبة :

(وأنه أهلك عاداً الأولى وثموداً ، فما أبقى)^(١) .

وأرسل قتيبة إلى الحجاج يفتح (سمرقند) ، ثم رجع إلى (مرو) ، وكان أهل (خراسان) يقولون : « إن قتيبة غدر بأهل (سمرقند) ، فلما غدرأ »^(٢) .
وهكذا فتح قتيبة (خوارزم) و (سمرقند) في عام واحد^(٣) .

ي - فتح الشاش وفرغانة :

أولاً : في سنة أربع وتسعين الهجرية (٧١٢ م) قطع قتيبة نهر (جيحون) وفرض على أهل (بخارى) و (كش) و (نسف) و (خوارزم) عشرين ألف مقاتل ، فساروا معه ، فوجههم إلى (الشاش) وتوجه هو إلى (فرغانة) .
واستخدم قتيبة هو والعدو في (خَجِينْدَه)^(٤) حيث جمع له أهلها ، فلقوه واقتلوا مراراً ، في كل مرة يكون الظفر للمسلمين .

وفتح الجند الذين ساروا إلى (الشاش) هذه المدينة واحرقوها ثم رجعوا إلى قتيبة وهو على (كاشان) مدينة (فرغانة) ، فانصرف قتيبة بالناس إلى (مرو)^(٥) .

ثانياً : وبعث الحجاج سنة خمس وتسعين هجرية (٧١٣ م) إلى قتيبة جيشاً من العراق

(١) الآية الكريمة من سورة النجم (٥٣ : ٥١/٥٠) .

(٢) الطبري (٢٤٨/٥ - ٢٥٥) وابن الأثير (٢١٧/٤ - ٢١٩) وأنظر ابن خلدون

(٦٣/٥) والبلاذري (٤٠ - ٤١١) وسرح العيون (٩٩) واليعقوبي (٣١/٣ - ٣٢) ،

وفيه عن حرق الأصنام : « كانت الأعاجم تقول : إن فيها أصناماً من استخف بها هلك » ، فلما حرقها

قتيبة بيده ، أسلم منهم خلق كثير .

(٣) وفيات الأعيان (٢٥٠/٣) والعبير (١٧٠/١) وذلك سنة ثلاث وتسعين هجرية .

(٤) خجندة : بلدة مشهورة بما وراء النهر على شاطئ سيحون بينها وبين سمرقند عشرة أيام مشرقاً .

أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٤٠٢/٣) وتقويم البلدان (٤٩٨) .

(٥) الطبري (٢٥٧/٥ - ٢٥٨) وابن الأثير (٢٢١/٤) وابن خلدون (٦٤/٣)

فغزا بهم ، فلما كان بد (الشاش) أتاه موت الحجاج ، فغمّته ذلك وقمل راجعاً إلى
(مرو) وتمثل :

لعمري لنعم المرء من آل جعفر بحوران^(١) أمسى أعلقته الحبال
فأن تحي لأملل^(٢) حياتي وإن تمت فما في حياتي بعد موتك طائل

فرجع بالناس إلى (مرو) ، وتفرق الناس ، فخلّف في (بخارى) قوماً ، ووجه قوماً
إلى (كاش) و (نسف) ، ثم أتى (مرو) وأقام بها ، فأتاه كتاب الوليد بن عبد الملك :
« وقد عرف أمير المؤمنين بلاءك وجدك واجتهادك في جهاد أعداء المسلمين ، وأمير
المؤمنين رافعك وصانع بك الذي يجب لك ، فأتم مغازيك وانتظر ثواب ربك ، ولا تغب
عن أمير المؤمنين كتبك ، حتى كأني أنظر إلى بلائك والشجر الذي أنت فيه »^(٣) .
ك - فتح كاشغر^(٤) وغزو الصين :

في سنة ست وتسعين هجرية (٧١٤ م) غزا قتيبة (كاشغر) وهي أدنى مدائن الصين ،
فسار وحمل مع الناس عيالاً بهم . ليضعهم به (سمرقند) ، فلما عبر النهر استعمل رجلاً على
معبّر النهر^(٥) لينع من يرجع من جنده إلا بجواز منه ... ومضى إلى (فرغانة) وأرسل
إلى شعب يؤدى إلى (كاشغر) من يسهل الطريق إليها .

وبعث قتيبة مقدمته إلى (كاشغر) ، فغنموا وسبوا . وأوغل قتيبة حتى قارب الصين

(١) حوران : كورة واسعة من أعمال دمشق من جهة القبلة ذات قرى كثيرة ومزارع . أنظر
التفاصيل في معجم البلدان (٣٦٠/٣) .

(٢) في ابن الأثير (٢٢١/٤) ورد صدر البيت : فإن يحي لا أمالك .

(٣) ابن الأثير (٢٢١/٤ — ٢٢٢) وأنظر الطبري (٢٦٤/٥) وابن خلدون (٦٦/٢) .

(٤) كاشغر : مدينة وقرى ورسايق ، وهي في وسط بلاد الترك ، أنظر التفاصيل في معجم البلدان

(٢٠٧/٧) .

(٥) في ابن خلدون (٩٧/٣) : أن قتيبة عبر النهر وحمل على الحجاز مساجدة ... الخ

فكتب اليه ملك الصين : « أبعث اليّ رجلاً شريفاً يخبرني عنكم وعن دينكم » ، فانتخب قتيبة اثني عشر رجلاً^(١) لهم جمال وألسن وبأس وعقل وصلاح ، وأمر لهم بعدة حسنة ومتاع حسن من الخبز والوشى وغير ذلك وخيول حسنة ، وكان منهم هبيرة بن الأشمراج الكلابي مفوهاً بسيط اللسان ، وقال لهم : « إذا دخلتم على ملك الصين فأعلموه أنّي قد حلفت أنّي لا أنصرف حتى أطأ بلادهم وأختم ملوكهم وأجبي خراجهم » .

وسار وفد قتيبة عليهم هبيرة ، فلما قدموا على الصين ، دعاهم ملكها ، فلبسوا ثياباً بياضاً تحتها الغلائل ، وتطيبوا ولبسوا النعال والأردية ودخلوا عليه وعنده عشاء قومه ، فجلسوا فلم يكلمهم الملك ولا أحد ممن عنده ، فقال الملك لمن حضره بعد التصرف الوفد العربي : « كيف رأيتم هؤلاء ؟ » فقالوا : « رأينا قوماً ما هم إلا نساء ! ما بقي منا أحد حين رأهم ووجد رأيهم إلا انتشر ما عنده » .

وفي غدٍ دعاهم ، فلبسوا الوشي وعمائم الخبز والمطارف^(٢) وغدوا عليه ، فلما دخلوا قيل لهم : « ارجعوا » ، وقال الملك لأصحابه : « كيف رأيتم هذه الهيئة ؟ » ، فقالوا : « هذه أشبه بهيئة الرجال من تلك » .

وفي اليوم الثالث دعاهم فشدوا سلاحهم ولبسوا البيض^(٣) والمغافر^(٤) ، وأخذوا السيوف والرماح والتسي وركبوا ، فنظر اليهم ملك الصين فرأى أمثال الجبال مقبلة ، فلما دنوا ركزوا رماحهم ثم أقبلوا نحوهم مشمرين ، فقيل لهم قبل أن يدخلوا : « ارجعوا » ،

(١) في ابن الأثير (٢/٥) : « انتخب عشرة رجال ، وكذلك في ابن خلدون (١٧/٣) .

(٢) المطارف : جمع مطارف بضم الميم وكسرهما ، وهي أردية من خز مرصعة لها أعلام . أنظر مختار

الصحاح (٣٩٠) (١٠٩) .

(٣) البيض : جمع أبيض ، وهو السيف .

(٤) مغافر : جمع مغفر ، والمغفر بوزن المبضع ، زرد ينسج على قدر الرأس يابس تحت اللانسون .

أنظر مختار الصحاح (٤٧٦ — ٤٧٧) .

لما دخل في قلوبهم من خوفهم ، فالصرفوا راكبين خيولهم ، وأخذوا رماحهم ، ودفعوا خيولهم كأنهم يتطاردون ، فقال الملك لأصحابه : « كيف ترونهم ؟ » فقالوا : « ما رأينا مثل هؤلاء !! » .

وفي مساء نفس اليوم ، بعث ملك الصين اليهم : « ابعثوا اليّ زعيمكم » ، فبعثوا اليه هبيرة ، فقالوا له : « قد رأيتم عظم ملكي وأنه ليس أحد يمنعكم مني ، وأنت في يدي بمنزلة البيضة في كفي ، وإني سائلكم عن أمر ، فإن لم تصدقوني قتلتمكم » ، فقال : « اسأل » ، فقال : « لما صنعتُم ما صنعتُم من الزي في اليوم الأول والثاني والثالث ؟! » ، فقال : « أما زينا الأول فلباسنا في أهالينا وريحنا عندهم ، وأما يومنا الثاني فاذا أتينا أمراءنا ، وأما اليوم الثالث فزينا لعدونا ... » ، فقال : « ما أحسن ما دبرتم دهركم ، فانصرفوا إلى صاحبكم ، فقولوا له ينصرف ، فأني قد عرفت حرصه ^(١) وقلة أصحابه ، وإلا بعثت عليكم من يهلككم ويهلكه » ، فقال هبيرة : « كيف يكون قليل الأصحاب من أول خيابه في بلادك وآخرها في منابت الزيتون ؟! » . وكيف يكون حريصاً من خلف الدنيا قادراً عليها وغزاًك ؟! وأما تخويفك إيانا بالقتل ، فإن لنا آجالاً إذا حضرت فأكرمها القتل ، فلما نكرهه ولا نخافه !! » . قال : « فما الذي يرضي صاحبك ؟ » ، فقال : « إنه قد حلف ألا ينصرف حتى يظأ أرضكم ويختم ملوكهم ويُعطي الجزية » ، قال الملك : « فانا نخرجهُ من يمينه : نبعث اليه بتراب من تراب أرضنا فيظأه ، ونبعث أبناءنا فيختمهم ، ونبعث اليه بجزية نرضاهما » .

ودعا الملك بصحاف من ذهب فيها تراب ، وبعث بحريز وذهب وأربعة غلمان من أبناء ملوكهم ، ثم أجاز الوفسد العربي فأحسن جوائزهم ، فقدموا على قتيبة فقبل الجزية

(٤) عرفت حرصه : أي عرفت جشعه ، والمرص هو الجشع . أنظر مختار الصحاح (١٣٠) .

وختم السلطان روضته ووطنه الثراب (١) .

وفي هذه الغزاة ، وصل الخبر إلى قتيبة بموت الوليد بن عبد الملك (٢) ، وتولى سليمان
ابن عبد الملك مكانه ، فعاد قتيبة أدراجه ، فقتل في (فرغانة) (٣) .

(يتبع)



- (١) الخابري (٤٦٨/٥ — ٢٧٤) وابن الأثير (٢/٥ — ٣) وابن خلدون (٦٧/٣) وانظر
مرح العمرون (١٠٠) .
(٢) ابن الأثير (٣/٥) .
(٣) البداية والنهاية (١٩٤/٩) والمعارف (٤١٦) و (٤٣٣) .